تقرير

شوقي عشقوتي

ضغوط قصوى وديبلوماسية ساخنة: صفقة أم حرب؟ طهران ـ واشنطن: مفاوضات على حافة الهاوية

يتوقف مستقبل الشرق الاوسط المشحون بكل انواع الازمات والتوترات، والى حد كبير، على وجهة الصراع المزمن بين ايران والولايات المتحدة، وما اذا كان سيسلك طريق التسوية والصفقة بعد انطلاق قطار المفاوضات من العاصمة العمانية مسقط، ام سينفجر حربا كبيرة بسعي من اسرائيل التي تعرقل المسار التفاوضي. ويبقى ان الكرة باتت في ملعب ايران التي حشرتها التطورات والمتغيرات في زاوية الخيارات الصعبة

ارسل الرئيس الاميركي دونالد ترامب رسالة الى ايران عبر دولة الامارات (سلمت الى مستشار الرئيس الاماراتي انور قرقاش). وارسلت ايران ردها الرسمي على الرسالة عبر سلطنة عمان في اطار "ديبلوماسية الرسائل" الموازية لسياسة الضغوط القصوى، وعند مفترق طرق حاسم يقود الى الصفقة او الحرب، والتي تتزامن وتتلاءم مع العملية العسكرية الاميركية غير المسبوقة ضد الحوثيين في اليمن، وتجدد العمليات الاسرائيلية العسكرية في غزة، وارتفاع وتيرة الهجمات الاسرائيلية على اهداف لحزب الله في لبنان، ضد منشآت الجيش السوري السابق ومخازنه في مناطق درعا وحمص واللاذقية. ويقدر المسؤولون في طهران اهمية التفاوض والتوصل الى اتفاق، ولو مرحليا، الا انهم يقرون بامكان ان تكون ايران امام تصعيد عسكري اميركي - اسرائيلي، في خلال الفترة المقبلة.

رسالة ترامب الى القيادة الايرانية تضمنت بحسب معلومات ديبلوماسية:

- تأكيد رغبة اميركا بابرام اتفاق نووي جديد، على ان لا تكون لايران اي منشآت نووية تحت الارض او في الجبال.
- ان يبرم الاتفاق في مدة اقصاها شهران من بدء المفاوضات المباشرة بين البلدين.
- ان يتضمن اتفاق تركيب اجهزة مراقبة متطورة، وان تبقى المنشآت النووية مفتوحة امام التفتيش.
- ان يشمل الاتفاق التهديد الذي يمثله برنامج الصواريخ الباليستية، وصناعة وتطوير الطائرات المسيرة.
- وقف الدعم المالي وارسال السلاح الى حزب الله في لبنان والى الحوثيين في اليمن، والموافقة على حل الحشد الشعبي في العراق.

رسالة ترامب حددت ثلاثة مجالات رئيسية للتفاوض من وجهة النظر الاميركية، هي البرنامج النووي، وبرنامج الصواريخ الباليستية، اضافة الى دور الاذرع والوكلاء والميليشيات المسلحة المرتبطة بايران في المنطقة.

في المقابل، جاء الرد الايراني واضحا بدوره، وتضمن ثلاثة اجوبة اساسية على النقاط المطروحة، وهي:

- اولا: استعداد طهران للتفاوض غير المباشر حول البرنامج النووي، تمهيدا لاخضاعه بشكل كامل للرقابة الدولية، شرط ان تكون مرجعية اي تفاوض في هذا المجال هي الاتفاق النووي الموقع عام 2015.
- ثانيا: رفض ايراني قاطع لأي تفاوض حول طبيعة الصواريخ الايرانية او مداها، باعتبار ذلك ملفا غير قابل للنقاش، انطلاقا من انه حق طبيعي وسيادي ودفاعي للجمهورية الاسلامية.
- ثالثا: تأكيد ايران استقلالية حلفائها واصدقائها في المنطقة، وان اي اتفاق يقبله هؤلاء الحلفاء او التنظيمات والفصائل المرتبطة بطهران ستوافق عليه الاخيرة، باعتباره قرارا يعود اليهم وحدهم.

ربما الوضع الداخلي المحشور لترامب المتراجعة شعبيته (فضيحة "سيغنال غيت" وفضيحة جديدة تتعلق باستخدام البريد الشخصي، وارتدادات تسريح ما اعتبر فائضا في اعداد موظفي المؤسسات الفيديرالية، والانعكاسات السلبية للحرب التجارية التي يشنها ترامب من خلال رفع الرسوم الجمركية) سيدفع به الى البحث عن ورقة رابحة خارجيا، وهنا يصبح مسار النزاع مع ايران محفوفا بالمخاطر. فترامب يريد هذا الاتفاق مع طهران اما بالتفاوض او بالقوة. وهذا الحشد العسكري الذي يهدف لانتزاع الاتفاق من خلال التلويح بالقوة قد ينزلق في اتجاه استخدام هذه القوة في حال اضحت المسالك التفاوضية مغلقة. ويعتقد انصار هذا التوجه ان المواجهة في حال حصلت ستكون محدودة وليست شاملة، وانها ستنتهي بالاتفاق المطلوب.

في الواقع، بدأت الولايات المتحدة واسرائيل مرحلة جديدة من التصعيد ضد ايران لدفعها الى الجلوس الى طاولة المفاوضات، ثم تقديم تنازلات جوهرية، لا تقتصر فقط على البرنامج النووي، وانما تمتد الى تقليص البرامج الصاروخية الباليستية والقدرات التسليحية، وكذلك النفوذ الاقليمي عبر منعها من دعم حلفائها واذرعها في الشرق الاوسط.

السقوف المرتفعة للتهديدات الاسرائيلية والاميركية لا تهدف فقط الى اعداد طاولة المفاوضات، بل تعكس ايضا ثقة زائدة بامكان فرض ارادة واشنطن وتل ابيب على طهران هذه المرة، على عكس مسارات تفاوضية سابقة ادت الى اتفاق نووي لم يكن يرضي اسرائيل التي دفعت بالرئيس ترامب، خلال ولايته الاولى، الى تمزيقه. وترجع هذه الثقة الى وجود تشخيص لديهما بأن ايران في وضع دفاعي وليس هجوميا،

> **رسالة ترامب والرد الايراني عليها فتحا الطريق الى مفاوضات مسقط**

ولا يوجد لديها الكثير من هوامش المناورة امام الضغوط، خاصة بعد الخسائر التي منيت بها في المنطقة، عبر استهداف حلفائها وتراجع قدرتهم على دعمها. اضافة الى ذلك، تراهن الادارة الاميركية على ان العقوبات غير المسبوقة التي تنوي فرضها على ايران، يمكن ان تكون اداة فعالة لـ"لي ذراع الايرانيين". كما تراهن واشنطن على ان الايرانيين يدركون ان الخيار العسكري لم يعد مجرد فرضية نظرية، بل اصبح واردا عمليا، سواء من اسرائيل، او بالاشتراك مع الولايات المتحدة.

تسعى ايران الى تجنب واقع ان تكون وحيدة في مواجهة ادارة اميركية لا يختلف التفاوض معها كثيرا في شروطه ونتائجه عن المواجهة، وحيث لا يوجد طرف في المنطقة او العالم قد يقف الى جانبها او يسندها. الاوروبيون ليسوا في موقع القبول بقدرات نووية او استراتيجية ايرانية، وواشنطن تريد اتفاقا جديدا يلغي الاحتمالات والمخاطر الممكنة كافة. اما موسكو فتريد اوكرانيا اولا واخيرا، وامامها وقت اميركي مستقطع؛ وقد تأخذ في اوكرانيا وتعطي في ايران. بناء الثقة مع ترامب صعب، والموقف الايراني مختلف عن كل الفترات السابقة، واوراق مقايضته معطلة او شبه معدومة. الثقة بالروس حذرة، وهذا الحذر تاريخي، مبني على قرون وعقود من التردد في الرهان عليهم او الاعتماد على مواقفهم، اما الرياض، فهي الحاضرة الدائمة، التي نجحت في تحويل موقعها الجيوسياسي الى حيز تفاوضي قادر على خلق مساحات تفاوضية، واصبحت تؤدي الدور الذي كانت تلعبه عواصم اوروبية.

المؤشرات تدل على ان التغيير يمكن ان يحدث في موقف ايران، وان شيئا ما قد طرأ وجعل طهران تلين موقفها وتذهب الى المفاوضات.

وهنا تكشف مصادر ديبلوماسية متابعة لتطور الموقف الايراني عن مسألتين:

1- حصول نقاش داخل دوائر النظام الايراني واروقته بين القيادتين السياسية والعسكرية، وحتى داخل الفريق المحافظ نفسه، تمحور حول رأيين: الاول، يتألف من غلاة المحافظين والذين يتمسكون بالاستمرار في سلوك المواجهة وعدم الاستكانة، لأن الذهاب الى مفاوضات وفق المعطيات الحالية سيعني الاقرار بالهزيمة وبانكفاء طهران عن الساحة الاقليمية وعودتها الى الداخل الايراني، وهو ما سيرفع مخاطر حصول تفسخات داخلية وتهديد الاستقرار الداخلي. اما الفريق الثاني، فاعتبر ان سقوط سوريا وخسارة حركة حماس والضربة القوية التي تلقاها حزب الله تستوجب النظر بواقعية الى الامور. فالحكمة تقضي بالذهاب الى المفاوضات لوقف الهجمة الاميركية والاسرائيلية الحاصلة، وبالتالي انقاذ ما تبقى من القوة الموجودة، خصوصا عند الحوثيين وحزب الله، واعتماد الحلول المرنة، وبالتالي الرهان على الوقت وانتظار ظروف اخرى مستقبلا قد تسمح باعادة بناء ما تهدم، بدل المخاطرة بجعل الساحة الايرانية ايضا عرضة للهجمات الجوية الاميركية والاسرائيلية العنيفة. ويبدو ان رؤية الفريق الثاني هي التي ربحت، وهو ما تمت ترجمته بالرد الايراني على رسالة ترامب.

2- قبول ايران لمبدأ المفاوضات المباشرة جاء مرفقا بإشارة ايجابية تمثلت في الاعلان عن وقف كل اشكال الدعم العسكري للحوثيين وبلائحة شروط (او مطالب) محددة. وقد استهلتها بتخفيف لغة التهديد وابقاء المفاوضات سرية، لأن طهران ترفض ان تبدو في موقع ضعيف وان تفاوض تحت الضغط. من هذه المطالب: ان تجمد الولايات المتحدة سياسة الضغط الاقصى والعقوبات مع بدء المفاوضات، وان يكون رفع العقوبات المرتبطة بالملف النووي فوريا عند الاتفاق من دون ربط رفعها بالملفات الاخرى، وان ايران منفتحة على التفاوض في كل ما يثير قلق واشنطن من البرنامج النووي وصولا الى دور وكلائها، لكن من دون ربط الملفات ببعضها البعض.